الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد إبن باديس-مستغانم-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

القسم: العلوم الإجتماعية

التخصص: علم الاجتماع الحضري

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في علم الاجتماع تخصص حضري

دور الاضرحة ووظائفها واستخداماتها في الوسط الحضري"

دراسة حالة ثلاث أضرحة بمدينة مستغانم"

بالموافقة على إيداع المذكرة
أ.م. راجعي

❖ من إعداد الطالبة: خاطر زهرة

أ.بن حليمة صحراوي	رئيسا	جامعة مستغانم
أ. سماحي أحمد بوحجرة	مناقشا	جامعة مستغانم
أ.راجعي	مشرفا	جامعة مستغانم

الموسم الجامعي: 2024-2025

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد إبن باديس–مستغانم–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

القسم: العلوم الإجتماعية

التخصص: علم الاجتماع الحضري

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في علم الاجتماع تخصص حضري

دور الاضرحة ووظائفها واستخداماتها في الوسط الحضري"

دراسة حالة ثلاث أضرحة بمدينة مستغانم"

❖ **من إعداد الطالبة: خاطر زهرة**

أ.بن حليمة صحراوي	**رئيسا**	**جامعة مستغانم**
أ. سماحي أحمد بوحجرة	**مناقشا**	**جامعة مستغانم**
أ.راجعي	**مشرفا**	**جامعة مستغانم**

الموسم الجامعي: 2024–2025

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

الشكـــــــر والتـــــــــقدير

الصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد ﷺ، وعلى أله

وصحبه أجمعين،

أما بعد:

أحمد الله تعالى كثيرا طيبا مباركا فيه على توفيقه وتسديده لي في إنجاز

هذا العمل المتواضع الذي ما كان ليرى النورلولا عونه وفضله.

أتقدم بجزيل الشكروالعرفان لأستاذي "راجعي"

الذي لم يبخل على بتوجيهاته القيمة، ونصائحه السديدة ودعمه

المتواصل، فكان نعم المرشد والموجه، فله مني كل الامتنان والتقدير.

كما لا يفوتني أن أعبرعن خالص شكري وامتناني واعتزازي بجامعتي

"جامعة عبد الحميد بن بأديس-مستغانم-

الإهـــــــــداء

بكلمات بغمرها الامتنان ومشاعر يملؤها الوفاء، أهدي ثمرة هذا الجهد لكن من كان لي سندا وعونا في مسيرتي العلمية

إلى أبي.....حفظه الله

مصدر قوتي وإلهامي بدعمه وصبره وكلماته.

إلى أمي.....نبع الحنان

صاحبة القلب الكبير، كانت دعواتها لي زادا في كل خطوة.

إخوتي أخو اتي رفاق الدري الذين كانوا لي سندا في كل لحظة

إلى كل من ساندني بكلمة أو دعاء أو موقف، لكم جميعا مني كل المحبة والاحترام

خاطر زهرة

Summary of study

The study aims to understand the role that shrines play in the urban environment of the city of Mostaganem, and to what extent they contribute to shaping the urban space. This was done through purposive sampling consisting of female caretakers and visitors of the shrines of Sidi Saïd, Yassdes Majdoub, and Sidi Belkacem. The study reached several findings, the most important of which are: the continuity of ritual practices despite generational changes, and the shrine as a symbolic space with multiple functions.

Keywords: Shrines, Functions and Uses, Urban Environment.

الملخص باللغة العربية

تهدف الدراسة إلى معرفة الدور الذي تلعبه الأضرحة في الوسط الحضري بمدينة مستغانم ومدى مساهمتها في تشكيل الفضاء الحضري، وذلك من خلال إعتماد على العينة القصدية المتمثلة في الخديمات والزائرات لكل من ضريح سيدي سعيد، سيدي بقاسم، سيدي مجذوب، وتم التوصل إلى مجموعة من النتائج أهمها:

-الاستمرارية في ممارسة الطقوس رغم تغير الأجيال.

-الاضرحة كمجال رمزي متعدد الوظائف.

الكلمات المفتاحية

الأضرحة، الوظائف، الاستخدامات، الوسط الحضري.

خطة البحث

العنوان	الصفحة
شكر وتقدير	
الإهداء	
الملخص باللغة العربية	
الملخص باللغة الأجنبية	
مقدمة الدراسة	11
1-الإشكالية	12
2-الفرضيات	12
3-أسباب إختيار الموضوع	12
4-أهداف الدراسة	12
5-أهمية الدراسة	14
6-تحديد مفاهيم الإجرائية	14
7-الدراسات السابقة	15
8-التعليق على الدراسات السابقة	18
9- مجالات الدراسة	18

10- مجتمع البحث	18
11- المنهج	19
12- الأدوات	19
الفصل التطبيقي- الدراسة الميدانية	20
الدراسة الاستطلاعية	21
زيارة الأضرحة	23
أولا: التحليل الميداني للمقابلات مع خادمات الأضرحة	23
1-مسؤوليات وتحديات اليومية للخادمة	23
2-ضبط الطقوس وحماية رأس المال	24
3-التفاوض بين الضيافة والتنظيم	25
4-توقيت التنظيف	25
5-طقوس الزوار عند الضريح	26
6-أهمية الضريح للناس	26
7-اقتراحات لتحسين العناية بالضريح	26
8-وظائف زيارة الأضرحة	27
ثانيا: تحليل المقابلات مع النساء الزائرات للأضرحة الثلاثة	28
1-مدة التردد على الضريح وطبيعة المرافقة أثناء الزيارة	28

2-التنوع العمري والتعليمي للزائرات الأضرحة	29
3-موقف الأبناء من زيارة الأضرحة	30
4-تحديد الزمن الطقسي لزيارة الأضرحة	31
5-الأنشطة المصاحبة للزيارة وما يتم تحضيره	32
6-دوافع زيارة الأولياء والأغراض المرجوة منها	33
7-تحقق النوايا والأماني المرتبطة بالزيارات	34
8-التنقل بين الأضرحة وتعدد النوايا الطقسية	34
النتائج	35
النتائج في ضوء الفرضيات	36
النتائج العامة	38
خاتمة	40
قائمة المراجع	41
الملاحق	44

مقدمة الدراسة

تمهيد

تعد الممارسات الدينية والرمزية جزءا أصيلا من البناء الثقافي للمجتمعات، إذ تعبر عن تصورات الأفراد للجوانب الغيبية والروحية وتشكل امتدادا للتاريخ طويل من التفاعل بين الإنسان والمقدس، ففي مختلف الثقافات لم يكن الدين مجرد منظومة إيمانية بل تجلى أيضا في طقوس وممارسات جماعية تمارس داخل فضاءات مادية ومعنوية تتعدد وظائفها وأشكالها.

ومن بين هذه الفضاءات، تحتل الأضرحة مكانة خاصة فهي لا تعد فقط رموزا دينية، بل تمثل أيضا مراكز اجتماعية وثقافية تتقاطع فيها الوظائف الروحية مع الأبعاد النفسية والجماعية، وقد رافق وجود الأضرحة تحولات المجتمعات فتكيفت أدوارها مع التحولات البنيوية الرمزية، واحتفظت بقدرتها على التأثير في سلوك الأفراد وتوجيه أنماط معينة من العلاقات الإجتماعية.

ومع انتقال المجتمعات إلى أنماط حضرية أكثر تعقيدا بدأت تظهر مظاهر جديدة لاستخدام الأضرحة داخل الأوساط الحضرية، حيث باتت تعلب أدوارا تتجاوز الطابع الديني الصرف، لتسهم في تشكيل نوع من التماسك الإجتماعي وتوفيرا إطار رمزي للهوية الجماعية، خاصة في ظل التغيرات السريع التي تعرفها المدن، وفي هذا السياق أصبح من الضروري إعادة النظر في وظائف الاضرحة الحضرية بوصفها مؤسسات اجتماعية غير رسمية ذات تأثير ملموس.

1- الإشكالية

تعد الممارسات الرمزية والدينية جزءا أساسيا من الثقافة الشعبية في المجتمعات العربية الإسلامية، حيث تعبر عن حاجات روحية واجتماعية في أن واحد، وتجسد علاقة الفرد بالمقدس بطرق متجددة، ورغم التحولات التي عرفتها المدن المعاصرة من حيث التنظيم العمراني والعلاقات الإجتماعية، ما تزال بعض الرموز القديمة تحافظ على مكانتها في الحياة اليومية، ومن بينها الاضرحة التي تستمر كفضاءات ذات طابع خاص.

تتموقع الأضرحة ضمن النسيج الحضري ليس فقط كبنايات معمارية، بل كأماكن حاملة لمعاني متعددة، فهي فضاءات للتبارك وللشفاء والتوسل، وأحيانا للاحتفال الجماعي، وقد مكنت الوظائف من استمرار حضور الأضرحة داخل المدينة الحديثة، مما جعلها تشكل نوعا من "الاستمرارية الثقافية" وسط عالم يتغير بسرعة، وتستحق بذلك الدراسة من منظور سوسيولوجي حضري.

في السياق الجزائري تعتبر مدينة مستغانم من المدن التي تحتفظ بهذا التراث بشكل ملحوظ، حيث تنتشر فيها الأضرحة ذات الامتداد التاريخي والديني العريق، وتحمل هذه الأضرحة أدوارا تتجاوز الجانب الديني لتلامس الجوانب النفسية والاجتماعية، خصوصا عند فئات مثل النساء، المرضى، والمهمشين، مما يجعلها تمثل فضاءا بديلا لتعبير عن الحاجات والهموم الشخصية والجماعية.

من هنا يمكننا طرح سؤال الإشكالية التالي:

السؤال الرئيسي

ما الدور الذي تلعبه الاضرحة في الوسط الحضري لمدينة مستغانم؟

1- الأسئلة الجزئية

1-ما هي الوظائف والاستخدامات المختلفة للأضرحة على المستويات الدينية والثقافية والاجتماعية؟

2-كيف تساهم الاضرحة في تشكيل الفضاء الحضري لمدينة مستغانم؟

2- الفرضيات

الفرضية الرئيسية

للأضرحة في الوسط الحضري في مستغانم أدوار متعددة منها الدينية والاجتماعية والثقافية.

الفرضيات الفرعية

1-تساهم الأضرحة في تعزيز الهوية المحلية مما يجعلها مكونا مؤثرا في النسيج الحضري للمدينة.

2-تؤثر الاضرحة في توزيع الانشطة والخدمات الحضرية، إذ تنشأ حولها الاسواق، المساحات العامة مما يجعلها جذب حضري في المدينة.

3- أسباب اختيار الموضوع

الأسباب الذاتية

- ينبع هذا الاختيار من اهتمامي الشخصي بفهم الديناميكيات الثقافية للممارسات اليومية المرتبطة بالأضرحة وخاصة الاشكال الشعبية.

الأسباب الموضوعية

- ندرة الدراسات السوسيولوجية الحضرية حول الأضرحة كمؤسسة غير رسمية داخل المدينة.
- غياب تحليل معمق لاستخداماتها ووظائفها في مدن جزائرية، مثل مدينة مستغانم.

4- أهداف الدراسة

- معرفة الدور الذي تلعبه الاضرحة في الوسط الحضري لمدينة مستغانم.

- ❖ معرفة الوظائف والاستخدامات المختلفة للأضرحة على المستويات الدينية والثقافية والاجتماعية.
- ❖ معرفة مدى مساهمة الاضرحة في تشكيل الفضاء الحضري لمدينة مستغانم.
- ❖ الإسهام في إثراء الدراسات السوسيولوجية حول التدين الشعبي في المجال الحضري.

5- أهمية الدراسة

- ❖ تسليط الضوء على بعد غير رسمي من الفضاء الحضري.
- ❖ تفتح المجال لفهم جديد لعلاقة الافراد بالأضرحة خارج المؤسسات الدينية الرسمية.
- ❖ الكشف عن استمرارية الرموز الدينية داخل المجتمع الحضري المعاصر.
- ❖ تقديم قراءة ثقافية واجتماعية لتفاعل المدينة مع موروثها الرمزي.

6- تحديد المفاهيم الإجرائية للدراسة

الضريح

هو مكان مقدس ينسب إلى شخصية دينية أو ولي صالح، يقصد للزيارة والدعاء والتبرك، ويتضمن عادة بناءا معماريا خاصا.

الوسط الحضري

هو المجال العمراني الذي تنتشر فيه الاضرحة داخل مدينة مستغانم، ويشمل أحياء شعبية وتاريخية.

الوظيفة

هي مختلف الادوار التي تؤديها الاضرحة في الحياة اليومية لسكان مدينة مستغانم.

7- الدراسات السابقة

الدراسات الأجنبية

ألكسندر هين(2008)

مفترق الأديان، الأضرحة التنقل والفضاء الحضري، جامعة ولاية أريزونا، الولايات المتحدة الأمريكية، منشورة في المجلة الدولية للبحث الحضري والإقليمي.

انطلقت الدراسة من الإشكالية التالية:

كيف تستمر الاضرحة الدينية في غوا، الهند في أداء وظائفها التقليدية في ظل التغيرات الحضرية الحديثة، وما هو تأثيرها على الفضاء الحضري؟

تهدف هذه الدراسة إلى مجموعة من الأهداف أهمها:

تحليل كيفية تكيف الاضرحة مع التغيرات الحضرية والاجتماعية في غوا؟

دراسة دور الأضرحة في تعزيز التعددية الدينية والتفاعل الإجتماعي في المدن الهندية.

كانت عينة الدراسة أضرحة هندوسية وكاثولوكية في مدينة غوا في الهند.

ومنهج الدراسة كان منهج كيفي يعتمد على الملاحظة الميدانية، واعتمد على الملاحظة كأداة إلى جانب مقابلات مع سكان المحلين والزوار وتحليل البيانات الثقافية والاجتماعية.

الدراسات العربية

الدراسة الأولى

درنوني سليم(2021)

بعنوان : التحولات الوظيفية لمساجد الزوايا والأضرحة بين الأمس واليوم، دراسة أنثروبولوجية جنوب الاوراس، مجلة الاكاديمية للدراسات الإجتماعية والإنسانية.

انطلقت الدراسة من الإشكالية التالية:

ما هي التحولات التي طرأت على وظائف مساجد الزوايا والأضرحة من الماضي إلى الحاضر؟

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف أهمها:

تحليل الوظائف الحيوية لمساجد والأضرحة.

رصد التحولات وتأثيرها في الحياة الإجتماعية والثقافية.

كانت عينة الدراسة عشوائية على أشخاص من مدينة جنوب الأوراس، إتبعت المنهج الأنثروبولوجي، وأداة الملاحظة والتحليل.

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

الأضرحة والزوايا حضور مستمر في الحياة الإجتماعية رغم التغيرات.

تعد جزءا من الهوية الثقافية والدينية المجتمع.

الدراسات المحلية

الدراسة الاولى:

عطاالله راضية(2019)

بعنوان: الأثر الإجتماعي لزيارة الاضرحة بتلمسان، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في علم الاجتماع، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.

انطلقت الدراسة من الإشكالية من التالي:

ما هو الاثر الإجتماعي لزيارة الأضرحة في المجتمع التلمساني؟

هدفت الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

دراسة ظاهرة زيارة الاضرحة وأثرها في المجتمع التلمساني.

تحليل الممارسات الثقافية والشعبية المرتبطة.

كانت عينة الدراسة حول زوار ضريح ابو مدين الغوث، المنهج كان كيفي، اعتمدت الباحثة على أداة المقابلة، والملاحظة الميدانية.

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

زيارة الأضرحة تسهم في ترسيخ المعتقدات الشعبية والحفاظ عليها.

الاضرحة لها مكانة رمزية في ذهنية المجتمع التلمساني.

الدراسة الثانية

واصل خديجة، مصطفاوي أسماء(2019-2020)

تحت عنوان: "النوع الإجتماعي وتقسيم الفضاء العمومي في مدينة تيارت، رسالة مقدمة لنيل الماجستير في علم اجتماع الحضري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تيارت.

انطلقت الدراسة من سؤال الإشكالية التالي:

ما هو دور ووظيفة الضريح في ظل التغير الإجتماعي؟ وكيف يمكن فهم وظائفه داخل النسق الحضري؟

تهدف الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف أهمها:

دراسة كيفية تشكل هذه الفضاءات.

تحليل وظائف الضريح داخل النسق الحضري.

اعتمدت الدراسة على المنهج الكيف، وكانت العينة سكان مدينة تيارت.

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

للضريح وظائف متعددة، من بينها التنشئة الإجتماعية.

استمرارية الممارسة الطقوسية ونسب التردد تسير إلى أهمية الضريح في الحياة الإجتماعية.

8- التعليق على الدراسات السابقة

تكشف الدراسات السابقة التي تناولت موضوع الأضرحة عن اهتمام

متزايد بالأبعاد المعمارية والدينية والثقافية لهذه الظاهرة، غير أن معظمها ركز على الجوانب الشكلية أو الرمزية دون التعمق في الاستخدامات الإجتماعية والحضرية لها، خاصة في السياق الحضري الجزائر.

لقد جاءت دراستنا الحالية من أجل تحليل العلاقة بين السلوك الديني الشعبي والممارسات الثقافية في الفضاءات الحضرية، وفهم كيف تندمج الأضرحة في نسيج الحياة اليومية للمدينة مستغانم، ومدى تأثيرها في إعادة إنتاج الرموز والعلاقات والهويات المحلية.

-مجالات الدراسة

المجال المكاني

لقد قمنا بدراستنا الحالية في مدينة مستغانم.

المجال البشري

لقد تمثل مجالنا في النساء الزائرات لأولياء الصالحين في مدينة مستغانم.

المجال الزماني

كانت دراستنا الميدانية في الفترة الممتدة من 20 إلى 29 فيفري.

و في 05 أفريل إلى 10 أفريل.

10-مجتمع البحث

تمثل مجتمع البحث في أضرحة: سدي مجدوب، سيدي سعيد، سيدي بلقاسم.

العينة

تمثلت عينة دراستنا في النساء الزائرات للأضرحة التالية وكانت العينة عشوائية:

ضريح سيدي مجدوب.

ضريح سيدي بلقاسم.

ضريح سدي سعيد.

11-المنهج

فان كلمة منهج يمكن ارجاعها الى طريقة تصور وتنظيم البحث، ينص اذن المنهج على كيفية تصور وتخطيط العمل حول دراسة موضوع ما، فانه يتدخل بطريقة أكثر أو أقل الحاح، بأكثر أو أقل دقة، في كل مراحل البحث أو في هذه المرحلة أو تلك مثلا، كما يمكن ارجاع كلمة منهج الى ميدان خاص يتضمن مجموعة الاجراءات الخاصة بمجال الدراسة معين، مثلا يملك منهج التحليل النفساني إجراءات للتقصي خاصا به، وعلى غرار المناهج الأخرى تتطلب المنهج التاريخي طريقة أو أسلوب معين في تقييم الوثائق المستعملة.(موريس أنجرس،2004، 98).

ولقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي التحليلي.

12-الأدوات

المقابلة

تعتبر المقابلة من أهم الوسائل البحثية لجمع المعلومات والبيانات من الميدان الاجتماعي، ويدون المقابلة اي مواجهة الباحث او المقابل للمبحوث بقصد جمع الحقائق والبيانات المتعلقة بموضوع البحث، لا يستطيع الباحث التعرف على الحقائق ولا يستطيع تبويبها وتصنيفها وتحليلها تحليلا علميا يساعده إلى التوصل للنتائج النهائية التي يستعملها في كشف موضوع الدراسة وتعرية جوانبه المختلفة.(جمال معتوق، 2013، 169).

الفصل التطبيقي

الدراسة الميدانية

الدراسة الاستطلاعية

تعد الأضرحة جزءا مهما من النسيج الحضري والاجتماعي في مدينة مستغانم، حيث تمثل مراكز دينية وثقافية واجتماعية تعكس الهوية المحلية للمدينة، تهدف هذه الدراسة الاستطلاعية إلى تسليط الضوء على دور ووظائف الاضرحة مع التركيز على ثلاث نماذج بارزين هما سيدي مجدوب وسيدي بلقاسم ونموذج

تتم هذه الدراسة بإتباع المنهج الوصفي التحليلي القائم على الملاحظة المباشرة والمقابلات مع السكان المحليين وزوار الاضرحة .

أدوات جمع البيانات

الملاحظة الميدانية

-زيارة موقع الأضرحة

-استبيانات مقدمة إلى سكان المنطقة وزوار الأضرحة

الأضرحة

ضريح سيدي مجدوب

يقع في قلب مدينة مستغانم وهو من اشهر الأضرحة، ويقع في منطقة شاطئ الخروبة من ولاية مستغانم.

ضريح سيدي بلقاسم

يقع في منطقة مزغران بولاية مستغانم، يعرف باسم "ضريح سيدي بلقاسم بوعصرية" منطقة مزغران تقع على مشارف مدينة مستغانم، وتشتهر بالعديد من المعالم الدينية والصوفية.

ضريح سيدي سعيد

يوجد ضريح سيدي سعيد في وسط مدينة مستغانم، بالقرب من بلدية مستغانم يعرف باسم" سيدي سعيد البوزيدي" وهو من المعالم الدينية البارزة في المدينة ويقع في منطقة مزدحمة وحيوية.

زيارة الاضرحة : تقديم الخدمة للزائرات

أولا: التحليل الميداني للمقابلات مع خادمات الاضرحة "لخديمات "

تعد الأضرحة من المظاهر الدينية والقافية البارزة في المجتمعات الإسلامية، خاصة في شمال إفريقيا، حيث ترتبط بقدسية أولياء الصالحين وتشكل مراكز روحية واجتماعية للزوار، فالضريح لا ينظر إليه فقط كمكان دفن، بل كمجال رمزي تتقاطع فيه العقيدة الشعبية والممارسات اليومية الطقوسية، وتمارس في هذه الفضاءات طقوس متكررة كزيارة الضريح، التبرك، النذر، والكلب، وهي ممارسات تنطوي على دلالات نفسية واجتماعية عميقة، خاصة بالنسبة للنساء.(حسن مصطفى،2007، ص88).

الخادمة في الضريح والتي يطلق عليها محليا ألقابا مثل" القيمة" أو "الشيخة" وهي امرأة تقيم بصفة دائمة أو متقطعة داخل الضريح، وتشرف على تسييره وخدمة زواره، خاصة النساء، تلعب الخادمة دور الوسيط بين الزائرات" الولي الصالح"، فهي من تحفظ تقاليد الضريح وتوجه الزائرات في كيفية أداء الطقوس وتقديم النذور.(مرنيسي فاطمة، 2000، ص152).

تقوم الخادمة بالعديد من المهام أهمها:

الاستقبال والتوجيه، بحيث تستقبل الزائرات وتوجههن في كيفية زيارة الضريح.

إعداد الطقوس، مثل إشعال الشموع ووضع الشموع، وتوزيع الماء البارد.

الإشراف على النذور، مثل جمع النقود والزيت والحناء، أو المواد الغذائية، وضمان توزيعها حسب المعتقدات.

السرد القصصي في بعض الحالات تروي الخادمة قصصا من كرامات الولي، مما يعزز مكانة الضريح.(مرنيسي فاطمة، 2000، ص152).

1-مسؤوليات وتحديات اليومية للخادمة في الأضرحة

طبيعة العمل اليومي بين العناية المادية والحفاظ على الرمزية

يبرز لنا دور الخادمة في الأضرحة كمزيج بين العمل المادي (التنظيف والترتيب) والحفاظ على قدسية المكان، ووفقا لبورديو يشكل هذا جزءا من عملية إعادة الإنتاج الرأسمال الرمزي، حيث يساهم هذه الممارسات في ترسيخ الهيمنة الرمزة للفضاء المقدس.

فحسب إجابة السيدة (ف) التي تعمل في ضريح سيدي مجدوب" نخدم على النظافة "ونحط العطور في بلاصة وين يحطو النذور، ونبدل الماء في القلال"

أما عن إجابة السيدة (ز) التي تعمل في ضريح سيدي مجدوب" نخدم الخدمة فيها نظافة الضريح وترتيب البلاصة وين يقعدو الناس، ونحرصوا على باه تكون كل حاجة منظمة.

أما إجابة الخديمة التي تعمل في ضريح سيدي سعيد" نوض بكري نمسح البلاط، ونهوي البلاصة، نشعل الشموع، ونشوف كاش مكاين حاجة مكسرة"

فالإهتمام بالنظافة والعناية لا يقتصر على الجانب المادي بل يهدف أيضا إلى تثبيت صورة الضريح كمكان للطهارة الروحية،

2- ضبط الطقوس وحماية رأس المال الرمزي

خديمة1 "نراقب الناس اللي يجيوكاين اللي يحبوا يلمسو الضريح وكاين اللي يديروا حاجات مش مليحة لازم دايمن نكون في عين المكان"(فضيلة 42 سنة ضريح سيدي بلقاسم)

الخديمة2: كاين مكان خاص بالنذور والبخور، لازم نراقبوه باش ميكونوش فيه تجاوزات ونشوف شكون يحط ووش يدير"(زهية 38 سنة ضريح سيدي سعيد).

الخديمة3: نمنعوا الناس باه يكتبوا على الحيطان ونحاولو ما نخلوش فوضى خاصة كي يجيوا جماعات كبيرة" زكية 45 سنة سيدي مجدوب)

تمثل عمليات المراقبة جزءا من أليه ضبط الفضاء الديني، حيث تعمل الخادمات كوسطاء في إعادة إنتاج القواعد غير المكتوبة التي تحكم السلوك داخل الضريح.

يمكن فهم ذلك من خلال مفهوم الحقل عند بورديو، حيث يشكل الضريح مجالا له قواعده الخاصة، وتعمل الخادمات كحراس لهذه القواعد لضمان إستمرار الهيمنة الرمزية للمكان.

3- التفاوض بين الضيافة والتنظيم

"نحاولو نكونو خدامين نعاونوا الناس باش يديروا الزيارة بلا مشاكل خاصة اللي يجيو لأول مرة"(فضيلة 42 سنة سيدي بلقاسم).

"لازم نشرحو للناس كيفاش يتعاملو مع الضريح خاصة كي يكون غاشي، ولازم نخليو النظام" (زكية 4(سيدي مجدوب)

"الناس لازم يدخلوا بلا صوت عالي، وما يخلوش الاطفال يجرو في الضريح وأحنا اللي علينا نقولولهم كيفاه يتصرفوا"(زهية 38 سنة سيدي سعيد)

تعكس شهادات الخديمات دورهن كوسيطات بين الزوار والمكان المقدس، حيث يتموضعن بيم متطلبات الضيافة من جهة ومتطلبات النظام من جهة أخرى، يمكن ربط هذا بتصور إفرينغوفماج حول التفاعل الرمزي حيث يشكل الضريح "واجهة" يتطلب تنظيم الأداء داخله للحفاظ على جلال المكان.

4- توقيت التنظيف

"ننظف قبل ما نفتح، ونعاود نشوف البلاصة في العشية خاصة كي يكون الغاشي"(فضيلة 42 سنة سيدي بلقاسم).

"التنظيف يكون الصباح والعشية وايام الجمعة نزيدو نخدمو أكثر"(زهية 38 سنة سيدي سعيد)

"نحاولوا دايما الضريح يكون نقي قبل ما يجيوا الزوار باش يقاوه في أحسن حال"(زكية 45 سنة سيدي مجدوب).

توقيت التنظيف ليس مجرد إجراء عملي، بل يحمل دلالة طقوسية مرتبطة بفكرة الطهارة في المجال الديني، ويوضح ميرسيا إلياد أن الطهارة في الفضاءات المقدسة ضرورية لضمان إستمرارية" القداسة" مما يجعل التنظيف جزءا من الممارسات التي تحافظ على الهيبة الروحية للمكان.

5- طقوس الزوار عند الضريح

"النسا يربطو الخيوط في الشباك وكاين لي يشعلوا الشموع ويرشوا الماء"(فضيلة 42 سنة سيدي بلقاسم).

"كاين اللي يذبحو الذبائح قدام الضريح وناس تحط الدراهم في صندوق النذر"(زهية 38 سنة سيدي سعيد).

"كاين اللي يدوروا على الضريح ثلث مرات ويرشوا الملح واللي يدعوا عند الباب"(زكية 45 سنة سيدي مجدوب).

تعكس هذه الطقوس أنماط التدين الشعبي الذي يتميز بالممارسات الرمزية المرتبطة بالحياة اليومية، يشير مارسيل موس إلى أن الطقوس ليست مجرد حركات ميكانيكية بل ترتبط بإعتقادات جماعية تمنحها معنى، حيث تصبح الأضرحة مركزا لهذه التفاعلات الشعائرية.

6- أهمية الضريح للناس

"الضريح مكان يعطي الراحة نفسية للناس واللي عندهم مشاكل يجيو ليه" فضيلة 42 سنة سيدي بلقاسم).

"العرايس يجيو يطلبوا البركة والناس عندهم مرضى يجيو يزوروه للدعاء"(زهية 38 سنة سيدي سعيد)

"الناس تسوف في الولي راجل صالح يقدر يعاونهم بالدعاء وكاين اللي يجيو من بعيد غير للزيارة"(زكية 45 سنة سيدي مجدوب).

يبرز الضريح كفضاء رمزي يتجاوز دوره الديني ليصبح جزءا من الذاكرة الجماعية للمجتمع، تساهم الفضاءات في الحفاظ على الهوية الجمعية حيث تشكل نقطة مرجعية للزوار الباحثين عن البركة والدعم النفسي.

7- اقتراحات لتحسين العناية بالضريح

"خاصنا تنظيف دوري أكثر تنظيم ولازم مراقبة الناس اللي يكتبوا على الحيطان" (فضيلة 42 سنة، سيدي بلقاسم).

" لازم عمال أكثر تنظيم أكبر في المناسبات"(زهية 38 سنة سيدي سعيد).

"نحتاجو حملات توعية أكثر للزوار باش يحافظوا على المكان"(زكية 45 سنة سيدي مجدوب).

توضح هذه الاقتراحات أهمية التوازن بين حرية الممارسة الدينية والحفاظ على النظام داخل الفضاء المقدس، بحيث تتطلب الفضاءات الرمزية تسييرا يأخذ في الاعتبار خصوصيات الممارسات الدينية والتقاليد الإجتماعية.

توضح لنا شهادات الخادمات أن عملهن يتجاوز البعد الوظيفي ليصبح جزءا ديناميات الضريح كمجال اجتماعي ديني، تعكس الممارسات اليومية داخل الضريح، تفاعلا بين الطقوس والتنظيم والتدين الشعبي مما يعكس استمرارية الأضرحة كفضاءات للروحانية الجماعية.

وظائف زيارة الاضرحة :

تكل زيارة النساء للأضرحة ممارسة اجتماعية وثقافية تتجاوز البعد الديني الظاهر، إذ تنطوي على وظائف متعددة نفسية، اجتماعية، ورمزية، ولا يمكن فهم هذه الزيارات دون ربطها بسياق الحياة اليومية للنساء، خاصة في المجتمعات التقليدية أو شبه الحديثة، حيث تعاني النساء من أكال التقييد والتهميش الرمزي في الفضاءات العامة، في هذا الإطار تتحول الاضرحة إلى فضاء أمن للتعبير عن الذات والبحث عن حلول لمشاكل شخصية واجتماعية.

أول وظيفة يمكن إبرازها هي الوظيفة النفسية والتفريغ العاطفي، فالضريح بالنسبة للمرأة الزائرة يمثل مكانا للبوح والتخفف من التوترات الداخلية، وقد تكون هذه التوترات مرتبطة بمشاكل زوجية، أو تأخر الإنجاب أو المرض، أو حتى القلق الوجودي، وتعبر المرأة في الضريح عن هذه الانشغالات عبر الدعاء والبكاء، الطقوس ، ما يشكل عملية تفريغ نفسي جماعي فردي في أن واحد.(فرويد سيغموند، 1994، ص66).

أما من الناحية الإجتماعية، فإن زيارة الضريح تؤدي وظيفة إدماجيه، إذ تمكن المرأة من التواصل مع أخريات يشتركن معها نفس التجربة أو الهموم، إن الضريح لا يوفر فقط مخرجا مؤقتا من عزلة المرأة في البيت، بل يعيد إدماجها داخل الجماعة طقسية ذات لغة وعلامات ومعتقدات مشتركة، وغالبا ما تكون هذه الزيارات جماعية، ما يعزز روابط التضامن والتكافل، ويسمح بتبادل الخبرات أو حتى "المعرفة الشعبية" حول الزواج الصحة وغيرها.(إميل دور كايم، 1990، ص123).

كما لا يمكننا إفال دور الوظيفة الرمزية الروحية لزيارة النساء للضريح، حيث يتم تمثيل الضريح كمجال "علاجي" تتفاعل فيه قوى خارقة مع العالم الدنيوي، وتقوم الزائرة بإعادة تنظيم علاقاتها بالزمن والمصير من خلال الطقس، وتقديم النذور وإشعال الشموع والدوران حول الضريح وغيرها من الطقوس ذات الطابع السحري، وتكمن رمزية هذه الأفعال في كونها تعيد للمرأة شكلا من السيطرة على مستقبلها في عالم يفرض عليها القيود.(كاسير رإرنست، 2005، ص219.)

ثانيا: تحليل المقابلات مع النساء الزائرات للأضرحة الثلاثة

1-مدة التردد على الضريح وطبيعة المرافقة أثناء الزيارة

أجمعت أغلب النساء من الأضرحة الثلاثة على أن بداية الزيارة تعود إلى سن مبكرة غالبا في الطفولة، ورافقتها عنصر التلقين العائلي، خاصة من طرف الأم والجدة.

-زائرة من ضريح سيدي سعيد تقول " :من بكري، كنت نجي مع جدتي، كانت تفرح كي نجي معاها".

-من سيدي مجدوب" :يما كانت تقولي لازم نروح نطلب البركة".

-من سيدي بلقاسم" :من اللي وعيت وأنا نجي، عادة متعوّدة عليها".

في حين حافظت زائرات ضريح سيدي مجدوب على استمرارية شبه منتظمة، ذكرت بعض زائرات سيدي سعيد أنهن توقّفن لفترات بسبب الزواج أ والانتقال، ثم عدن لاحقًا.

كما أن بعض زائرات سيدي بلقاسم قلن إنهن بدأنا لزيارة بعد الزواج، كحاجة خاصة، وليس كموروث عائلي.

هذا التشابه يعكس وجودها بيت وسديني شعبي، يتم ترسيخه عبر العائلة، ويُمارَس تلقائيًا، كما يصفه بورديو.

أما الاختلاف في التوقيت و النمط ،فيُظهر تنوع المسارات الاجتماعية الفردية داخل ممارسة جماعية واحدة.

تختلف الدوافع، لكن البنية الرمزية للزيارة تبقى مشتركة.

إن معظم إجابات النساء أنهن بدأن زيارة الضريح منذ الصغر وغالبا ما كانت برفقة الجدات والامهات شن وهذا يدل على أن الممارسة ليست قرار فرديا لحظيا بل ناتجة عن تنشئة اجتماعية ممتدة، تشكلت عبر تكرار الجماعي والرمزي، وهو ما يعزز فكرة الزيارة كتقليد أسري، تنتقل رمزيا ضمن المجال العائلي وتعزز الإحساس بالانتماء الجماعي المقدس.

يفسر بورديو هذا السلوك من خلال مفهوم الهابيتوس وهو نسق من الميولات المكتسبة بفعل التنشئة الإجتماعية ويوجه الممارسة دون وعي مباشر فحين تنشأ الطفلة وسط عائلة تزور الأضرحة تصبح هذه العادة جزءا من بناها الذهنية والوجدانية، إذ أن الهابيتوس يربط الماضي بالمستقبل، ويمنح الفعل طابعا طبيعيا وعاديا دون الحاجة إلى تفكير عقلاني أو قناعة جديدة(بيار بورديو، 2007، 168).

كما يرى ميرسيا من منظور أنثروبولوجي أن إعادة الاتصال بالمقدس تتم عبر الزمن الدوري لا الخطي، أي من خلال تكرار فعل طقوسي يعيد الحياة طهارتها الأولى، فالزيارة في عمر مبكر وبالذات أيام الخميس أو المناسبات الدينية ليست فقط عادة بل فعلا يعيد إنتاج الزمن المقدس ويربط بين الطفلة والفضاء الرمزي الذي يمثله الولي، هذه الطقوس تعيد خلق المعنى وتدمج الفرد داخل الجماعة الروحية.(إلياد ميرسيا، 2001، 93).

2- التنوع العمري والتعليمي لزائرات الاضرحة

كل الأضرحة شهدت حضورا نسويا متنوعا من حيث السن والمستوى التعليمي فالشابات وحتى المعلمات منهن لم يقاطعن الزيارة بشكل تام.

-أنا طالبة في الجامعة نجي مع خالتي نقرا الفاتحة ونحط شمعة.

-شفت شابات أكثر مني يدخلوا يطلبوا الذرية.

الاختلاف ظهر في النية والاقتناع، حيث لاحظت بعض الزائرات أن الشابات يزرن لكن دون نفس القناعة العاطفية التي تحملها النساء الأكبر سنا.

" -كاين لي تجي غير باش تجرب، تقول نشوفوا شيصرالي".

" -ماشي كيما زمان، البنات مابقاوشي آمنو كيما حنا".

نحن أمام تنازع رمزي بين جيلين، حيث تنخفض هيمنة "النية" عند الجيل الجديد، لكن دون اختفاء الفعل، هذا يظهر أن الحقل الديني الشعبي لا يزال قائما، رغم ضعف الرأسمال

الرمزي الذي يحمله عند الشباب، بورديو يشير هنا إلى أن الرأسمال الرمزي يفقد فعاليته عندما تعاد تعريف شرعيته داخل مجتمع متحول.

أظهرت المقابلات أن الزائرات الأضرحة بمستغانم ينتمين إلى فئات عمرية واجتماعية متنوعة، من الجدات إلى الشابات ومن غير المتعلمات إلى حاملات الشهادات، غير أن هذا الحضور لا يخلو من تفاوت في الدوافع فالنشاء الأكبر سنا يعتبرن الزيارة إلتزاما روحانيا، أما الشابات خاصة المتعلمات فحضورهن أصبح أكثر انتقائية أو محكوما بالفضول والتجربة لا بالإيمان العميق ما يكسف عن تمايز أجيالي في نظرة كل فئة لهذه الممارسة.

يشري هذا التباين بالرجوع إلى الرأسمال الرمزي عند بروديو حيث تملك الاضرحة وزنا رمزيا يفرض نفسه في الذاكرة الجمعية، لن هذا الوزن يتفاوت حسب الخلفية الإجتماعية للفرد، الشابات اللاتي يمتلكن رأسمالا ثقافي(تعليم أكاديمي) قد يرن في هذه الممارسة اقل عقلانية ما ينتج نوعا من التوتر بين ما هو تقليدي وما هو حداثي، لكن حضورهن رغم هذا التوتر يعكس ما يسميه بورديو ب" ازدواجية الحقول الرمزية، حيث تتداخل الحقو الحديثة.(Bourdieu.1986.244).

يشير ميشال مافيسولي إلى أن المجتمعات المعاصرة لا تتخلى كليا عن الطقوس التقليدية بل تعيد تشكيلها وفق حاجات جديدة، في ظل ما يسنيه ب"عودة القبائل" تمثيل الفئات الشابة إلى انتقاء بعض الطقوس القديمة وإعادة دمجها ضمن أنماط حياتها لا كالإيمان أعمى بل تجربة شخصية أو هوية رمزية، لهذا فوجود الشابات المتعلمات داخل

الفضاء الزيارة يمكن فهمه كجزء من سعيهن لصيانة "هوية روحية هجينة.(Maffesoli michel.1985.112).

3-موقف الأبناء من زيارة الاضرحة

ظهرت ملامح الرفض والتهكم من الأبناء في كل المواقع

"ولدي يقولي خرافات، بصح ميمنعنيش(من سيدي مجدوب)

"بنتي ضحكت وقالت لي مازال تروحي؟(من سيدي بلقاسم)

لكن بعض الإباء خاصة من الطبقة الوسطى، أظهروا تفهما بل وساعدوا الأمهات في التنقل.

"ولدي جابني بسيارتو، بصح مادخلش'(من سيدي سعيد)

هذه الفجوة بين الأجيال تعبر عن عنف رمزي خفي يمارس فيه الأبناء توقفهم الثقافي العقلاني أو الديني الرسمي تجاه ممارسات بدائية، غير أن الاستمرار النساء في التردد على الأضرحة يظهر استقلالا رمزيا داخل فضاء خاص رغم النظرة المجتمعية الجديدة.

4-تحديد الزمن الطقسي لزيارة الاضرحة

تشابهات:

أغلب الزائرات من الأضرحة الثلاثة أشرن إلى أيام الخميس والجمعة كمواعيد مفضلة للزيارة إضافة إلى بعض المناسبات الدينية كعاشوراء ورمضان والمولد النبوي الشريف.

"نجي الخميس نخلي الشمعة وندعي"

"في رمضان نجي بزاف، نحس بالراحة".

"في عاشوراء منفوتهاش، نقسم الحلوى"

سجلنا بعض الإختلافات طفيفة في رمزية المناسبة، فزائرات سيدي مجدوب ركزن على زيارة "طلب الفرج" في حين أن سيدي يعيد يرتبط عند بعضهن بأجواء عاشوراء" الخلاص" بينما سيدي بلقاسم يرتاد بكثرة في رمضان.

إن هذه الزيارات تنتمي إلى ما يسميه بورديو إلى الاستثمار الطقوسي وفي المناسبات الدينية كعاشوراء والمولد النبوي الشريف، والأعياد وأحيانا بعد الحلم والرؤيا، وهذه المواعيد تبرز وظيفة الدورية والرمزية للزيارة، حيث ترتبط برزنامة زمنية مقدسة، تتكرر كل عام وتعيد إنتاج العلاقة بين الإنسان والمقدس.

إن غالبية الزائرات أشرن إلى أن الزيارات تكثر في أيام الخميس وفي المناسبات الدينية كعاشوراء، المولد النبوي، والأعياد وأحيانا بعد الحلم والرؤيا، هذه المواعيد تبرز الوظيفة الدورية والرمزية للزيارة، حيث ترتبط برزنامة زمنية مقدسة، تتكرر كل عام وتعيد إنتاج العلاقة بين الإنسان والمقدس.

فحسب مرسيليا إلياد، تعيد الطقوس الدينية ومنها زيارة الضريح إنتاج الزمن الاصلي المقدس الذي يختلف عن الزمن العادي، أيام الخميس والمناسبات تشكل' أزمة منفصلة" تعيد الفرد إلى أصل الخلق والمعنى فكل زيارة تعني كسر الزمن الدنيوي والولوج في زمن إلهي.(إلياد ميرسيا، 2001، 88).

كما يرى دوركايم أن الطقوس ليست فقط تواصلا مع المقدس، بل هي لحظة جماعية تعزز وحدة الجماعة وتضامنها، ومن هذا المنظور تصبح زيارة الضريح في موعد محدد تعبيرا عن تماسك جماعي ورمزي، يعيد فيه الأفراد الشعور بالانتماء خاصة عندما تتزامن مع مناسبات دينية كبرى.(إميل دور كايم، 1995، 289).

5-الانشطة المصاحبة للزيارة وما يتم تحضيره

كل الزائرات تقريبا قمن بنفس الطقوس: قراءة الفاتحة، وضع الشمع، التصدق، الذبح أحيانا وربط الخيوط وإشعال البخور.

"نقرا الفاتحة ونربط خيط في الباب"

"نذبح دجاجة ونطلب حاجة كبيرة"

سيدي بلقاسم يشهد طقوسا خفيفة فاتحة، صدقة شمع"

أما سيدي مجدوب فترتبط به طقوس أكثر رمزية نذر الذبح والبكاء"

في حين أن سيدي سعيد يطغى عليه البعد الإجتماعي، حيث تقسم الحلويات وتتبادل الأدعية بين الزائرات"

تجسد هذه الأفعال ما يسميه بورديو بالطقوس كأفعال رمزية محتملة بالدلالة فالمرأة لا تقوم بالفعل من أجل ذاته، بل لأن المجتمع منح له قيمة رمزية عبر التكرار والتقديس، ما يجعله أدى لاكتساب رأسمال رمزي في علاقاتها بالأخرين وبالذات.

لقد اجمعت معظم الزائرات أن الزيارة تتضمن جملة من الممارسات، قراءة سورة الفاتحة تقديم النذور والحلوى والشموع، وربط القماش على الضريح، إضافة إلى التضرع والدعاء وما تحضره الزائرات يكتفين بالدعاء والصدقة هذه الطقوس تعكس تدينا علميا ورمزيا يتجسد في الجسد والحركة لا فقط في الإيمان النظري.

يعتبر كليفورد غريتز أن الدين الشعبي في المجتمعات التقليدية لا ينفصل عن الثقافة اليومية، بل يتجلى من خلال نظام الرموز التي تعبر عن معان وجودية، فالطعام والربط والدعاء هي لغات "طقسية" تترجم بها المرأة نواياها ورغباتها بلغة يفهمها الفضاء المقدس، ومن منظور بيار بورديو يرى أن هذه الافعال هي تجل ما يسمى ب "الهابيتوس" الجسدي أي أن الجسد يحمل بصمات الطقس والتنشئة، فالركوع، مسح الضريح، أو إشعال الشموع، ليست فقط حركات بل ممارسات طقسية مسبعة بالرمزية، الجسد يصبح أداة تكرس الإيمان وتعيد إنتاجه كل مرة.(بيار بورديو، 2001، 210.)

6-دوافع زيارة الأولياء والأغراض المرجوة منها

كل الزائرات تقريبا قمن بنفس الطقوس، قراءة الفاتحة ووضع الشمع والتصدق وربط الخيوط، لقول أحد الزائرات:

"نقرا الفاتحة ونربط خيط فالباب"

وأخرى " نذبح دجاجة كي نطلب حاجة كبيرة"

تعددت دوافع الزيارة بحسب تصريحات النساء، طلب الزواج والشفاء من المرض، الإنجاب والنجاح، أو رفع الهم والغم، هذه التعددية تعكس الوظيفة الإجتماعية والدينية للضريح، كمكان يلجأ إليه الفرد حينما تنقطع به السبل في الواقع، فيبحث عن القوة الخارقة التي قد تغير القدر.

يرى مالينوفسكي أن الإنسان يلجأ إلى الطقوس حين يشعر بالندم السيطرة على العالم الواقعي، خاصة في حالات الخطر والقلق، زيارة الضريح تمارس بوصفها ألية رمزية للطمأنينة تعيد الفرد الإحساس بالقدرة والأمل، ووفقا لماكس فيبر فإن الاديان غالبا ما تتضمن بعدا "خلاصيا" حين ينظر إلى التقديس كوسيلة للنجاة من محن الحياة اليومية، فالدعاء في الضريح وتقديم النذور هي تعبير عن أمل في خلاص فردي من أزمة إجتماعيا أو نفسية.(ماكس فيبر، 1993، 108).

7-تحقق النوايا والاماني المرتبطة بالزيارات

تشابهت السباب التي دفعت الزائرات تكرر الزيارات منها، دافع الزواج والذرية والشفاء، حل المشكلات وكذا النجاح الدراسي.

"نجي باش ربي يرزقني بالذرية"

"نجي باش تتزوج بنتي"

"دعيت على مرضي وربي يشافيني"

أوضحت معظم النساء أن الأغراض متنوعة منها الصحة، الزواج الإنجاب والرز وبعضهن أبدين أملا مستمرا في تحقيق تلك الاماني رغم مرور وقت طويل، هذا يعكس طبيعة الأضرحة كمجال للانتظار الرمزي والمعنوي، حيث تستمر الزيارة حتى يتحقق الفرج، ما يبرز عنصر الإيمان المستمر بقدرة الولي على التغيير رغم عدم اليقين الزمني.

يسير بير بورديو غلى أن الولي ومكانته في المجال الرمزي تجعل منه مركزا للصراع والرهان الرمزي، إذا تبقى العلاقة مع الولي مستمرة ومتجددة، حيث يحافظ الزوار على "النية" حتى يتحقق شيء أو حتى يبقى الأمل قائما ضمن التفاعل الرمزي الإجتماعي(بيار بوردو، 2013، 89).

8-التنقل بين الاضرحة وتعدد النوايا الطقسية

معظم الزائرات تحدثن عن تحقيق جزئي و عن علامات خير مع استمرار الامل والرجاء.

"من جيت بداو يحسو ولادي بالراحة"

"مازال بصح نحس بالطمأنينة كل مرة نجي"

"عندي سبع سنين نجي مازال مابان والو".

يمكن تفسير هذا التنقل بين الأضرحة من خلال مفهوم بورديو للرأسمال الرمزي، حيث كل ولي يمثل" رأسمالا رمزيا" خاصة يتم استثماره حسب الحاجة الإجتماعية أو النفسية، هذه الزيارات المتعددة تشكل تكوينا معقدا للحقول الرمزية التي يتفاعل معها الأفراد بشكل تكامل(بورديو، 2007، 275).

كما يرى مريرسيا إياد أن تعدد الاضرحة والزيارات يعكس تنوع الطقوس التي تتيح للفرد الإبحار في فضاءات مختلفة من المقدس، كل واحد منها يحمل رموزا ووظائف خاصة مما يجعل الدين الشعبي منظومة مرنة وقابلة للتكيف مع متطلبات الأفراد.(إلياد ميرسيا، 2001، 115).

النتائج

النتائج المتوصّل إليها في ضوء الفرضيات

للزوايا والأضرحة في الوسط الحضري لمدينة مستغانم أدوار متعددة منها الدينية والاجتماعية والثقافية

أظهرت المعطيات الميدانية أن الزوايا والأضرحة تؤدي وظيفة روحية دينية، و تشكل أيضًا فضاءً للقاءات الاجتماعية، حيث تلتقي النساء في زيارات جماعية يتبادلن من خلالها الحديث والاهتمامات اليومية، كما تحتضن هذه الأضرحة طقوسًا ترتبط بمناسبات مثل الزواج، الولادة، والبحث عن البركة، ما يعكس أدوارًا ثقافية وتعبيرية غنية داخل المجتمع الحضري.

وهنا تأكدت لنا صحة الفرضية الأولى.

تساهم الأضرحة في تعزيز الهوية المحلية، مما يجعلها مكونًا مؤثرًا في النسيج الحضري للمدينة

أكدت المقابلات مع الزائرات أن الارتباط بالأضرحة يمثل بعدًا هوياتيًا قويًا، حيث تتكرر عبارات مثل' النية 'و'الوفاء للولي الصالح'، ما يدل على تجذّر هذه الممارسات في الذاكرة الجماعية .كما أن استمرار هذه العادات لدى مختلف الفئات العمرية، خاصة من النساء، يساهم في ترسيخ الإحساس بالانتماء المحلي، ويُظهر كيف أن الضريح يصبح رمزًا ثقافيًا يجمع حوله سكان المدينة

وهنا تأكدت لنا صحة الفرضية الثانية.

تؤثر الأضرحة في توزيع الأنشطة والخدمات الحضرية، إذ تنشأ حولها الأسواق والمساحات العامة، مما يجعلها مركز جذب حضري

أبرزت الملاحظات الميدانية أن الأضرحة تُعدّ نقاط جذب عمراني تتشكل حولها ديناميكيات اقتصادية وخدماتية، مثل وجود الأسواق والمحلات التجارية والبائعين المتجولين في محيط الضريح .كما تُستخدم المساحات المجاورة كأماكن للجلوس والانتظار، ما يعزز من حضور الضريح كمركز للحركة اليومية داخل المدينة، ويُظهر تداخله في البنية الوظيفية الحضرية.

وهنا تأكدت لنا صحة الفرضية الثالثة.

النتائج العامة للدراسة

من خلال دراستنا لهذا الموضوع توصلنا لمجموعة من النتائج أهمها:

1-الإستمرارية في ممارسة الطقوس رغم تغير الأجيال.

كشفت لنا الدراسة وخاصة الميدانية أن النساء من مختلف الأعمار ومن مستويات تعليمية متفاوتة، يواصلن زيارة الأضرحة، حتى بعض الشابات الجامعيات مازلن يحملن" النية" وإن كان ذلك بشكل أقل، مما يدل على أن المعتقدات المرتبطة بالأضرحة لم تختلف بل تكيفت.

2-الاضرحة كمجال رمزي متعدد الوظائف

لم تقتصر أغراض النساء من الزيارة على بعد يديني و روحي فقط، بل تنوعت بين طلب الشفاء الزواج، الرزق والإنجاب، الحماية من العين، وهو ما يعكس الوظيفة الرمزية المتعددة للضريح كمجال مفتوح على الحاجات الإجتماعية والنفسية.

3-الزيارات كطقس اجتماعي نسوي

شكلت الزيارات للأضرحة مناسبة للتلاقي والتواصل بين النساء، ووسيلة للخروج من روتين الحياة اليومية، ورافق ذلك طقس التحضير، كالشموع الحناء، مما يجعل الزيارة ليست فقط فعلا دينيا بل إجتماعيا أيضا.

3-الأضرحة شبكة رمزية لا تنحصر في مكان واحد

النساء يزرن أكثر من ضريح، ولكن" النية" مرتبطة بولي معين، ما يعني أن هناك توزيعا وظيفيا للكرامات ضمن شبكة أولياء مستغانم، وهذا يعكس ثراء معتقد المحلي وتعقيد النظام الرمزي المرتبط به.

4-إستمرار الأمل والانتظار الرمزي

حتى عند عدم تحقق "المراد" تواصل النساء الزيارة باعتبارها فعلا للإبقاء على الأمل، وتعبيرا عن التوكل، وهذا يتقاطع مع فكرة" الرأسمال الرمز المؤجل" حسب بورديو.

خاتمة

خاتمة

تظهر الظواهر الإجتماعية المرتبطة قدرة الإنسان على خلق معان رمزية في تعامله مع محيطه سواء في المجتمعات التقليدية أو الحديثة، فالفضاءات الدينية والشعبية لم تفقد أهميتها رغم التحولات التي طرأت على البنى الإجتماعية والاقتصادية، بل تكيفت مع المستجدات وواصلت أداء وظائفها بأشكال جديدة ومبتكرة وتعد الأضرحة من أبرز هذه الفضاءات التي حافظت على حضورها الرمزي والفعلي في حياة الافراد والجمعات.

بقد بينت الدراسة أن الاضرحة في الوسط الحضري لا تقتصر على البعد الديني فقط بل تؤدي مجموعة من الوظائف الإجتماعية والنفسية والثقافية، تعبر من خلالها عن حاجات روحية وجماعية تستمر حتى في الفضاءات المدينة الحديثة، فهي تمثل مكانا للجوء والتبرك، لكنها أيضا مجال للتواصل الإجتماعي وبعد رمزي للأفراد وشعورهم بالانتماء والتجذر وهوية محلية وتاريخ مشترك.

إن الاستخدامات المتنوعة للأضرحة في مدينة مستغانم تعبر عن تفاعل معقد بين الرسمي والشعبي، بين العقلاني والرمزي، وتكشف عن مدى قدرة الإنسان الحضري على إعادة تشكيل علاقته بالمقدس في ظل السياق المدني المعاصر، وهذا ما يدعو إلى تجاوز النظرة التقليدية للأضرحة والنظر إليها كأدوات تعبير اجتماعي ومجالات لإعادة إنتاج الرموز في فضاء مديني متعدد الأبعاد.

قائمة المراجع

قائمة المراجع

أولا: الكتب

1-جمال معتوق(2013) منهجية العلوم الاجتماعية والبحث الاجتماعي، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة مصر.

2-موريس أنجرس(2004) منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، دار القصبة، الجزائر.

3-حسن مصطفى(2007)الطقوس الدينية والتحولات الاجتماعية، دار الفكر العربي، القاهرة.

4-فاطمة مرنيسي(2000) الحريم السياسي :النبي والنساء، ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

5-سيغموند فرويد(1994) الطوطم والتاتو، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت.

6-إميل دوركايم(1990) تقسيم العمل الاجتماعي، ترجمة حسن قبيسي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

7-إرنست كاسيرر(2005) فلسفة الأشكال الرمزية، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء.

8-بيير بورديو(2007) العنف الرمزي، ترجمة نظير جاهل، دار النهضة العربية، بيروت.

9-ميرسيا إلياد(2001) المقدس والمدنس، ترجمة ناصر بن سعيد، دار الهادي، بيروت.

10- إميل دوركايم(1995) الأشكال الأولية للحياة الدينية، ترجمة خليل أحمد خليل، دار النهار، بيروت.

11- بيير بورديو(2001) بؤس العالم، ترجمة نظير جاهل، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت.

12- ماكس فيبر(1993) الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

13- بيير بورديو(2013) الهيمنة الذكورية، ترجمة سلمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

14- بيير بورديو(1990) المنطق العملي، ترجمة محمد الهلالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.

15- بيير بورديو(2002)مجالات اجتماعية :مقالات في سوسيولوجيا الحقول، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، الدار البيضاء.

16- إميل دوركايم،2008 ، التربية والمجتمع، ترجمة نجيب الصباغ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.

ثانيا: المذكرات

1. عطاالله راضية(2019) الأثر الإجتماعي لزيارة الأضرحة تلمسان، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في علم الاجتماع، جامعة بوضياف، المسيلة.
2. واصل خديجة مصطفاوي أسماء(2019-2020) النوع الإجتماعي وتقسيم الفضاء العمومي في مدينة تيارت، رسالة مقدمة لنيل الماجستير في علم اجتماع حضري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تيارت.

ثالثا: المجلات والمقالات

1. ألكسندر هين(2008)، مفترق الأديان، الأضرحة التنقل والفضاء الحضري، جامعة ولاية أريزونا، الولايات المتحدة الأمريكية، منشورة في المجلة الدولية للبحث الحضري والإقليمي.
2. درنوني سليم(2021) التحولات الوظيفية لمساجد الزوايا والأضرحة بين الأمس واليوم، دراسة أنثروبولوجية، جنوب الأوراس، مجلة أكاديمية، للدراسات الإجتماعية والإنسانية.

المراجع باللغة الأجنبية

1. Bourdieu, Pierre. 1986. The Forms of Capital. In Handbook of Theory and Research for the Sociology of Education, edited by John G. Richardson. Greenwood Press.

2. Michel Foucault, 1985, The Use of Pleasure: The History of Sexuality, Volume. Vintage Books.

الملاحق

المحق رقم(01): دليل المقابلة مع الزائرات

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس–مستغانم

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية **قسم : العلوم الاجتماعية**

مقابلة

لإنجاز مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص علم الاجتماع الحضري

بعنوان :دور ووظائف واستخدامات الأضرحة في الوسط الحضري لمدينة مستغانم

دراسة ميدانية لأضرحة سيدي سعيد، سيدي مجدوب، سيدي بلقاسم– ولاية مستغانم

ملاحظة:

- **تندرج هذه المقابلة ضمن متطلبات إنجاز مذكرة ماستر علم اجتماع الحضري ، لهذا يطلب من سيادتكم الإجابة على أسئلة المقابلة ، مؤكدين لكم أن هذه المعلومات سرية و لا تستخدم إلا لأغراض البحث العلمي .**

السنة الجامعية: 2024–2025

المحور الأول: وظائف واستخدامات المختلفة للأضرحة وجمهورها ؟

1-الحاجة منذ متى وأنت تأتين الى زيارة هذا الولي ؟ ومع من كنت تأتين ؟

2-هل جميع النساء يأتين الى الزيارة من مختلف الأعمار و من الذين لديهم مستوى تعليمي ومن الذين لم يكونوا في المدرسة ؟ هل الشابات المتعلمات مازال لديهن"النية" في الزيارة أم أن الجيل الجديد ماعندوش النية ؟

3-هل أبناءك يوافقون على ذهابك للزيارة أم هناك من يعترض عليك؟

4-هل هناك أيام محددة أو مناسبات خاصة تأتي فيها الى زيارة الولي ؟

5-ما هي الأشياء التي تقومين بها في الزيارة. وماذا تحضرين معك ؟

6-لماذا يأتي الناس لزيارة الولي هل من أجل الزواج أو الميلاد او أشياء أخرى؟

7-ما هي الأغراض التي تأتي من أجلها الى الزيارة.؟ و هل تحققت المقصود من زياراتك أم أم انك في انتظار الفرج القريب ؟

8-هناك عدة أضرحة أولياء في مستغانم ؟ هل تأتين فقط لزيارة هذا الولي ؟ ام تذهبين لزيارة أولياء آخرين وما هي "النية" من زيارة كل ولي ؟

البيانات الشخصية

1-الجنس: ذكر ◯ أنثى ◯

2-السن:.....

3-المستوى التعليمي:.....

4-الحالة الإجتماعية:.....

5-الوضعية

المهنية.....

الملحق رقم(02): دليل القابلة مع الخديمات

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس–مستغانم

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية **قسم : العلوم الاجتماعية**

مقابلة

لإنجاز مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص علم الاجتماع الحضري

بعنوان :دور ووظائف وإستخدامات الاضرحة في الوسط الحضري لمدينة مستغانم

دراسة ميدانية لأضرحة سيدي سعيد، سيدي مجدوب، سيدي بلقاسم– ولاية مستغانم

ملاحظة:

- **تندرج هذه المقابلة ضمن متطلبات إنجاز مذكرة ماستر علم اجتماع الحضري ، لهذا يطلب من سيادتكم الإجابة على أسئلة المقابلة ، مؤكدين لكم أن هذه المعلومات سرية و لا تستخدم إلا لأغراض البحث العلمي .**

السنة الجامعية: 2024–2025

المحور الأول: مسؤوليات وتحديات اليومية للخادمة

1-ماهي طبيعة عملك اليومي هنا؟

2-هل توجد أعمال تنظيف أو مراقبة خاصة بالضريح؟

3-كيف تتعاملين مع الزوار؟ وهل هناك إجراءات خاصة عند حضورهم؟

4-هل هناك توقيت معين لتنظيف لتنظيف الضريح أو تقديم الرعاية له؟

5-هل هناك طقوس أو عادات محددة يقوم بها الزوار عند زيارة الضريح؟

6-كيف تصفين أهمية هذا الضريح بالنسبة للناس؟

7-ما هي الإقتراحات التي تقدمينها لتحسين العناية بالضريح بشكل عام؟

البيانات الشخصية

1-السن:.....

2-المستوى التعليمي:.....

3-الحالة الإجتماعية:.....

4-منذ متى وأنت تعملين في هذا المكان؟.....

الملحق رقم(03): صور ضريح سيدي سعيد

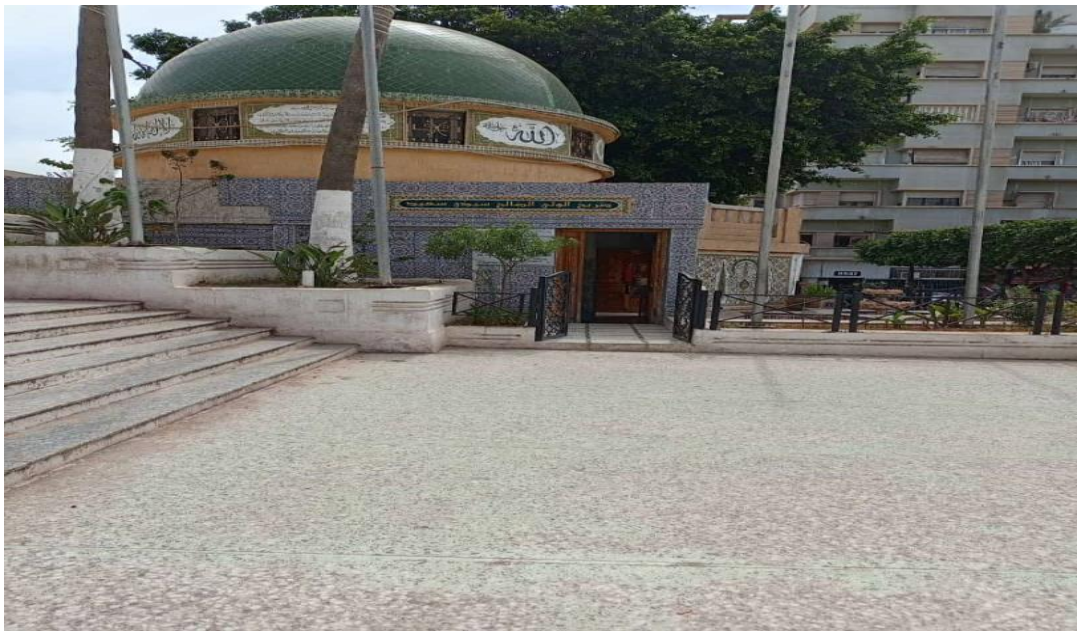

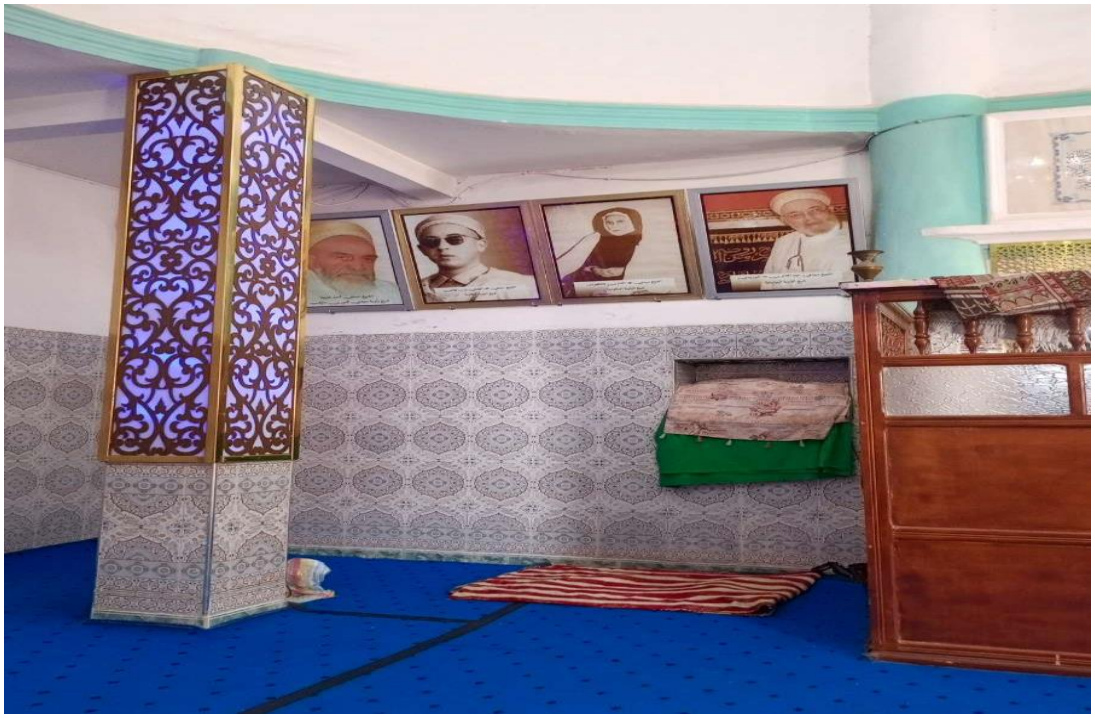

الملحق رقم(04) صور ضريح سيدي مجدوب

الملحق رقم(05) صور ضريح سيدي بلقاسم

بسم الله الرحمن الرحيم
الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا
الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء
من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما
وهو العلي العظيم